﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء: 31]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تنوّعُ الأدلّةِ على وجود الصّانعِ، وعلى وحدانيّتِه

لمّا شرع الله تعالى في ذكر الدَّلائل على وجود الصّانع وعلى كونه منزّهًا عن الشّريك فذكر في الآية السابقة الدَّليلَ الأوَّل ذكرَ في هذه الآية دليلًا آخرَ من آثارِ فتق السّماوات والأرضِ، وبدأ بذكر الأرض؛ لأنَّه لمّا كان من القدرة الباهرة ثباتُ الأرض من غير حركة، وكان الماءُ أدلَّ دليل على ثباتها، وكانت الأرضُ أقربَ في الذِّكرِ من السماء أتبعَ ذلك بذكر دليلِ الأرض فقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ الآيةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَوَٰسِيَ﴾: المعنى المحوريّ للكلمة يدور على ثبات الشّيء بلزوم أسفله، أو باطنه ما يمسكه بتمكّن، كرسوِّ العمود في الأرض، يقال: رَسا الشَّيْءُ يَرْسو، إذا ثَبَتَ واستقرَّ، والرّاسي: هوَ الدّاخِلُ في الأرْضِ بثباتٍ وتمكّنٍ، ومنه رَسا الجَبَلُ: ثَبَت أصلُه في داخلِ الأرض، ورَسَت السفينة: بلغ أسفلُها القَعْرَ، ولا يستعمل الرّسوُّ في الأصلِ إلّا في الأجرام الكبار، ومن المجاز قولُهم: رَسَتْ أقْدامُهُم في الحَرْبِ بمعنى ثبتت[2]، و﴿رَوَٰسِيَ﴾ جمع راسية وهي صفةٌ لِلجبال الثّابتة[3].

2) ﴿تَمِيدَ﴾: (ميد) أصلان صحيحان: يَدُلُّ أحدهما على

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 426، والبقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 413 - 414، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 57.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (رسو).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 434.

حركة واسعة تردّدية، ويطلق الميدُ على اضطرابِ الشّيء العظيم كاضطراب الأرض، ومادَ يَميدُ ميدًا إذا تحرَّكَ يمينًا وشمالًا، ومادَتِ الأغْصانُ تَميدُ: تَمايَلَتْ، ولمّا كان الميدُ فيه معنى الدّوران أطلق على مائدة الطّعام لأنَّها يُلتَفُّ حولَها، ومعنى ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي: (لئلّا تتحرك وتضطرب بهم)[1].

3) ﴿فِجَاجًا﴾: الفَجُّ: شُقَّةٌ يكتنفُها جبلان، ويستعمل في الطّريق الواسع بين جبلين، أو في جبلٍ واحدٍ، وجمعه فِجاجٌ، والأصل فيه قولُهم: فجَّ رجليه وأفجَّها، وفجَّ ما بينهما إذا فتَحَهما، وباعدَ ما بينهما، فقيل للطريق بين جبلين: فج؛ لأنَّه كأنَّه فرَّجَ بين الجبلين، و﴿فِجَاجًا﴾ في الآية جمع فجٍّ بمعنى الطريق الواسع بين الجبلين.

4) ﴿سُبُلًا﴾: يدور المعنى المحوريّ للجذر (سبل) على امتداد إلى أسفلَ مع اتّصالٍ كالثّياب الممتدّة إلى الأرض، وذنب الفرس يصلُ إلى الأرض، أو يكاد إذا أرسله، والأصلُ من السَبَل، وهي الثّياب المُسْبَلة المرسلةُ إلى الارض، والسَّبيلُ: الطّريق الذي فيه سهولةٌ وامتداد بحيث يوصل إلى مكانٍ آخر، وجمعه سُبُلٌ، و﴿سُبُلًا﴾ في الآية بمعنى (طرقًا يسهلُ السّير فيها وتوصل إلى المقاصد والغايات لامتدادِها).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أخبر اللّه تعالى في هذه الآية عن آثار فتق الأرضِ في حدِّ ذاتِها، وهو فتقُ التّكوين، فقال تعالى: (وجعلنا في هذه الأرض جبالا ثوابتَ، لئلّا تميدَ، وتضطربَ بهم، فيثبتوا على ظهرها، ويتمكّنوا من الاستقرارِ عليها، وجعلنا في الأرض طرقا ميسّرة سهلةً بين جبالها يسلكُها النّاس من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن إقليم إلى آخر ليتمكّنوا من السّيرِ فيها، والتّنقّل في البلدانِ، ليهتدوا بذلك إلى مصالحهم،

في خلقِ الأرضِ عـبرةٌ مشاهَدةٌ للمتأمّلين على وجـــود الـلـه وعظيمِ خلقِه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ميد).

ومهامِّ أمورهم المعيشيّةِ، وليهتدوا بعظيم هذا الخلقِ، وهذا التّدبير إلى وجودِ الصّانعِ ووَحدانيَّته، والمقصودُ إتمامُ المنَّة وإظهارُها في أنَّه تعالى سخَّر سطحَ الأرضِ للنّاسِ ليسلكوا منها طرقًا واسعة)[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصل بالواو في الآية:

الـجـمـعُ بين الدّلائل الكونيَّةِ على وجودِ الإله الواحدِ الأحدِ

جاءتِ الآية ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ بطريق الوصل بالواو معطوفةً على قوله: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ والتّقدير: (أولم ير الذين كفروا أنّا جعلنا في الأرضِ رواسيَ)، والجهةُ الجامعة بينهما كونُهما من الدّلائل الظّاهرة على وجود اللّه تعالى ووَحدانيّته، فتندرجُ هذه الآية كذلك ضمنَ الاستفهامِ المجازيّ المرادِ به التّقريرُ لظهور العلمِ به، أوِ الإنكارُ عليهم لعدم الاعتبارِ بالآياتِ الظّاهرة.

الغرضُ من تقديم الجار والمجرور ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على المفعول به ﴿رَوَٰسِيَ﴾:

الأرضُ هي المقصودةُ بالفعل

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على المفعول ﴿رَوَٰسِيَ﴾ في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾؛ للاهتمام بمكان الجعل المذكورِ، وللتّنبيه إلى أنه لا أحدَ يقدرُ على أن يجعل في الأرض الجبالَ الثّابتةَ الرّاسية سوى اللّه تعالى الذي له كمالُ القدرة والحكمة.

الغرضُ من حذف الموصوفِ وذكرِ الصفة:

رسوُّ الجبال، وثباتُها آيةٌ عُظمى على وجود الله، ووَحدانيَّته

حُذف الموصوفُ وذُكرتِ الصّفة في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾؛ وبيانُه أنَّه لمّا كان التّقدير: (وجعلنا في الأرضِ جبالًا رواسيَ) كان الكلامُ على حذف الموصوف (جبالًا) وإقامة الصفة ﴿رَوَٰسِيَ﴾ مقامَه[2]، والنّكتةُ فيه الإشعارُ بعظمِ هذه الصّفة وأنَّ الآية الكبرى في رسوِّ هذه الجبال، وفيه تكثيرٌ للمعنى؛ لأنَّ المعنى: (جعلنا

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 50، والمراغي، تفسير المراغي: 17/ 26، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 57.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4856.

الجبال وجعلناها راسيَةً)، ولو ذُكرَ الموصوف لكانت الآيةُ واحدةً، وهو جعلُ الجبال راسيَةً، والمقام مقامُ تعدادٍ للآياتِ الدّالَّة على وجودِ اللّه تعالى ووحدانيَّتِه.

سرُّ التّقييد بقوله ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾:

المـيـدُ سـببٌ لتثبيت الأرض والتّثبيتُ سببٌ لجعلِ الجبالِ فيها

لمّا كان جعلُ الرّواسي في الأرض من أجل أن لا تضطربَ الأرضُ بالنّاس على الدّوام، ولا تدورَ بهم، كان قوله ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ على معنى التّعليل، فإمّا أن يكون التّقدير: (لئلّا تميدَ بهم)، بحذف حرف التّعليل، ولا النّافيةِ، وإمّا أن يكون التّقدير: (كراهة أن تميد بهم على الدّوام) بحذف مضافٍ[1]، وذهب بعضُ المفسّرين إلى أنَّ الأولى من هذين الوجهَين أن يكون الكلامُ على معنى بيانِ علَّة خلقِ الجبال وبيانِ طبيعة الأرضِ، والتّقدير: (وجعلنا في الأرض رواسي لأجل أن نثبتها إذا مادَتْ بهم)، وإنّما قدّم الميدَ اهتمامًا بشأنِه، ولأنَّه هو سببُ تثبيت الأرضِ، والتّثبيتُ سببٌ في جعلِ الجبال فيها، فجعل الميدَ هو السّببَ وصار الكلام: (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد فنثبتها)، ثمّ حذف قوله (فنثبتها) لأمن الإلباس؛ لأنّه فُهم من السّياق إيجازًا واختصارًا، فالمرادُ أنّ اللّه تعالى يثبت الأرضَ بالجبال إذا مادت، وهذا لا يأبى وقوعَ الميد والميلانِ، لكنه مَيدٌ يستعقبُه التّثبيتُ، وكذلك الواقعُ من الزّلازل إنّما هو كاللّمحة، ثمّ يثبتها اللّه تعالى[2].

نكتةُ مجيء التّعليل مؤخَّرًا عن الفعل:

خـلـقُ الـجـبـال لتثبيت الأرضِ ولـحـكـمٍ لا تُحصى ومنافعَ لا تُستقصى

لمّا جاء قولُه ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ على معنى العلَّةِ لجعل الرَّواسي في الأرضِ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾، فهو على معنى المفعول لأجلِه، ولمّا جاء في موضعِه من الكلام ولم يتقدّم على

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 15/ 62.
(2) ابن المنير، الانتصاف، حاشية على الكشاف: 3/ 114.

الفعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾، أفاد أنَّ هذه العلَّة لا تفيدُ التّخصيصَ، فليس خلقُ الجبال لهذه الحكمة فقط، بل لحِكم لا تُحصى، ومنافعَ لا تُستقصى[1]، ولكنَّه ذكرَ الحكمةَ الأظهرَ والأهمَّ والأوضحَ التي ينتفع منها كلُّ من على الأرض، مبالغةً في إظهارِ المنّة، وبيانُ هذه الحكمة من جعل الجبال في الأرضِ معجزةٌ من معجزات القرآن، فما كان أحدٌ من المخاطَبين وقتَ نزول القرآن، ولا الأمم المعاصرون لهم يعلمون شيئًا من هذه الآيات الكونيّةِ التي أيَّد صحّتَها تقدّمُ العلوم[2].

بلاغةُ الكناية:

تثبيتُ الأرضِ بالجبال لأجلِ استقرارِ النّاس عليها وتمكّنِهم فيها

في قوله تعالى ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ كنايةٌ، وبيانُه أنَّه لمّا أخبر الله تعالى أنَّه جعلَ الجبالَ الرّواسيَ في الأرضِ كي لا تميد بالنّاس ولا تضطربَ بهم على الدّوامِ أفاد الكلام بلازمِه أنَّ المرادَ من جعل الرّواسي في الأرض هو استقرارُ النّاس عليها وتمكُّنُهم فيها[3]، ففيه إظهارٌ للمنَّة بالدّليل، وفي أنَّ الكونَ خُلِقَ لأجلِ الإنسانِ.

مرجعُ الضّمير في ﴿بِهِمْ﴾ ودلالتُه:

الذين كفروا أحوجُ من غيرِهم إلى التّنبيه إلى دلائلِ وجودِ الله ووحدانيَّته

الضّميرُ في ﴿بِهِمْ﴾ في قوله ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ وإن كان عائدًا على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ لكنّه لم يُقصد به خصوصُ الكافرين؛ لأنَّ الله تعالى جعل الجبالَ في الأرض لئلّا تميد، وتضطربَ بجميع النّاس، وليس الأمرُ مخصوصًا بالكافرين، ونكتةُ عودِ الضّمير على الذين كفروا مع أنَّه يُقصد به العمومُ الإيذانُ بأنَّهم أحوجُ من غيرِهم إلى التّنبيه إلى دلائل وجودِ الله، ووحدانيَّته.

نكتةُ تكريرِ الفعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

في تكرير الفعل (وجَعَلْنا) إيذانٌ باختلافِ الآيات، وإطنابٌ لتوفية مقامِ الامتنان حقَّه

كُرِّرَ الفعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في قوله ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 37.
(2) المراغي، تفسير المراغي: 17/ 27.
(3) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 10/ 387.

بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾؛ لأنَّ المقامَ مقامُ تعدادٍ للأدلَّة على وجود الله تعالى ووحدانيَّته وللإيذانِ باختلافِ المجعولين، وأنَّ كلَّ واحدٍ منهما آيةٌ من آياتِ الله تعالى لايقدرُ عليه إلّا الله الواحد الأحدُ، كما أنَّ في التّكرير إطنابًا لتوفية مقامِ الامتنان حقَّه[1].

دلالةُ عودِ الضّمير في ﴿فِيهَا﴾:

ظهورُ منَّةِ الله على الإنسانِ في أن جعلَ الطّرقَ الواسعةَ في الجبال والسّهولِ

يحتمل الضّميرُ المجرور في قوله ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ أن يعود إلى الرّواسي ويؤيّدُه أنَّ الفجاج هي الطّرق الواسعة بين الجبال، والمعنى: (جعلنا في الرَّواسي فجاجًا سبلًا)، كما يحتمل أن يعود إلى الأرض، والمعنى: (جعلنا في الأرض فجاجًا سبلًا يهتدون بها في حياتِهم ومعيشتِهم)، وهذا المعنى أعمُّ، وهو أظهرُ بدلالة السّياق؛ لأنَّه إذا كانت الفجاجُ في الأرض دخل السّهلُ والجبل فيه، فإنَّ ذلك كلَّه من الأرض، وقد جعل الله لخلقه في ذلك كلِّه فجاجًا سبلًا، ولا دلالةَ تدلُّ على أنّه عنى بذلك فجاجَ بعض الأرض التي جعلها لهم سبلًا دون بعض، فالعمومُ بها أولى[2].

الغرضُ من تقديم الجارِّ والمجرور على المفعول:

تهيئةُ المكان عنايةٌ بالإنسان

قُدّم الجارّ والمجرور ﴿فِيهَا﴾ على المفعول ﴿فِجَاجًا﴾ للاهتمام بالمكان الذي جعل الله فيه فجاجاً سبلًا، وللتّنبيه إلى أنّه لا أحدَ يقدرُ على أن يجعل في الأرض أو في الجبال هذه الفجاجَ السّالكةَ سوى الله تعالى الذي له كمالُ القدرة والحكمة.

سرُّ تقييدِ الفجاج بـ ﴿سُبُلًا﴾:

ذكرُ النّعمة بالإجمال ثمّ التّفصيلِ كشفٌ لقدرها

يحتملُ أن يكون لفظ ﴿فِجَاجًا﴾ في قوله ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ في الأصل صفةً للسُّبل، وأصلُ الكلام: وجعلنا فيها سبلًا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 65.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 435، والواحدي، التفسير البسيط: 15/ 61، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 80.

فجاجًا، فلمّا تقدّمت ﴿فِجَاجًا﴾ على موصوفِها جعلت حالًا، لبيان أنَّ الرّواسيَ خُلقت على هذه الحال من السّعة، أي: ليدلَّ على أنّه في حال جعْلِها سبلًا كانت واسعةً ولو أتى به صفةً لم يدلَّ على ذلك، ويحتمل أن يكونَ ﴿سُبُلًا﴾ في قوله: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ بدلًا من ﴿فِجَاجًا﴾، فيدلّ ضمنًا على أنّه خلقَها ووسّعها للسّابلة، فإنَّ الفجَّ قد لا يكون طريقًا نافذًا مسلوكًا، فلمّا ذكر الفجاجَ بيّن أنّه جعلها سبلاً نافذةً مسلوكةً للمسافرين والسّابلة، مع ما يكونُ في البدلِ من توكيد المعنى وتقريرِه وتوضيحِه لإفادتِه ذكرَ الشّيءِ مرَّةً بعد أخرى بطريق الإجمال ثمَّ التّفصيل، ويحتملُ كذلك أن يكون ﴿سُبُلًا﴾ عطفَ بيانٍ وتفسيرًا للفجاج، والمعنى على الإيضاحِ والبيانِ للمعطوف عليه[1].

توجيهُ المتشابه اللّفظيّ:

تـقـديـمُ اللّـفظ وتأخيرُه في آيات الـقـرآن راجـعٌ إلى سياق الآيةِ ومقامِها

جاء في آية سورة الأنبياء تقديمُ الفجاج على السّبل فقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ وجاء في سورة نوح تقديمُ السّبل على الفجاج فقال: ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝﴾ [نوح: 20]، فإنَّ في الفجاج معنى الوصف، فما لها قُدِّمتْ على السُّبلِ في آية سورة الأنبياء ولم تؤخَّرْ كما في آية سورة نوح؟ وجوابُه من جهة المعنى أنَّ آية سورةِ نوحٍ أفادت الإعلام بأنَّه تعالى جعل فيها طرقا واسعة، لتقديم السُّبل على الفجاج، وهو المناسبُ للمقام، لأنَّها واردةٌ على سبيل الامتنان كما أنَّ اقتران اللّفظ بـ(سَلَكْنا) يقتضي تقديمَ السّبل لأنَّها هي التي تُسلك، وأمّا آية سورة الأنبياء فإنَّها لبيان أنّه تعالى حين خلقها جعلها على تلك الصّفة من السّعة، وهي واردة للاستدلالِ والاعتبار والحثِّ على إمعان النظر وذلك يقتضي الإجمال ثمَّ التّفصيلَ[2].

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 15/ 62، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 65، وابن التمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 514.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 114.

نكتةُ التّعبير بلفظِ (لَعَلَّ):

التّعبيرُ بـ(لَعَلَّ) مـن أسـلـوب الـعـظـمـاءِ في إنشاء الرّجاءِ في المستقبل

لمّا كان لفظُ (لَعَلّ) لإنشاء الرّجاء المفيدِ توقّعَ الحصول من غير قطعٍ في الأمرِ أفاد التّعبيرُ بـ(لعلَّ) في قوله ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ أنَّ الاستدلالَ بالسّبل الفجاج قد ينقطعُ، وأنَّه قد يقع في الاهتداء بها الخطأُ[1]، والتّعبيرُ بـ(لَعَلَّ) من أسلوب العظماء في إنشاء الرّجاء في المستقبل، ويحتملُ أن تكون (لَعَلَّ) للتّعليل، بمعنى لكي يهتدوا[2].

مرجعُ الضّمير في قولِه ﴿لَّعَلَّهُمۡ﴾:

منَّـةُ الـلـه في جعلِه الأشياءَ في الأرضِ على ما يلائمُ الإنسانَ ويُصلحُ أحوالَه

يعود الضّميرُ المنصوبُ في قوله: ﴿لَّعَلَّهُمۡ﴾ على ما يعود إليه الضّميرُ في قوله ﴿بِهِمۡ﴾، فيُقصد به جميعُ النّاس، ولا يختصُّ بالكافرين، ونكتةُ عود الضّمير على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مع أنَّه يُقصد به العمومُ ذكرُ منَّةٍ أخرى عليهم في جعلِ الله تعالى الأشياءَ في الأرضِ على نحو ما يلائم الإنسانَ، ويُصلحُ أحوالَه.

الغرضُ من حذف متعلَّقِ الفعل ﴿يَهۡتَدُونَ﴾:

الاهـتـداءُ على معنى العموم فيفيدُ الاهتداءَ إلى المصالحِ وإلى الإيمانِ

لمّا جاء الاهتداءُ في سياق ذكر الجبال والفجاج والسّبل، كانَ تقديرُ الكلام: (لعلّهم يهتدون في مسالكهم وتصرفهم في البلاد، ويهتدون إلى مصالحِهم)، كما أنَّه لمّا جاء في سياق ذكرِ الدّلائل على وجود الله تعالى ووحدانيّته كان تقديرُ الكلام: (لعلهم يهتدون إلى وحدانيَّة الله بظهور الأدلَّة ووضوحها، فيعلموا أنَّ وجود الرّواسي والسّبل الفجاج لو كان بالطبيعة كانت على نمط واحد مساويةً للأرض متساويةً في الوصف، وأنَّ كونَها على غير ذلك دالٌّ على أنَّ صانعها قادرٌ مختارٌ متفرّدٌ بأوصاف الكمال، ليفيدَ أنَّه تعالى أراد من جميع المكلّفين الاهتداءَ، والأولى الجمعُ بين المعنيين بأن يكون المرادُ الاهتداءَ إلى البلاد، وإلى المصالح، والاهتداءَ إلى وجودِ الله تعالى

(1) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 10/ 388.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 139، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 515.

ووحدانيَّته، والمعنيان يشتركان في أصل مفهوم الاهتداءِ، ويقوّي دلالةَ العموم حذفُ متعلَّق الفعل، وحينئذٍ تكون الآيةُ متناولةً للأمرين جامعةً للمعنيين، ففي حذف متعلَّق ﴿يَهْتَدُونَ﴾ إيجازٌ بديعٌ[1].

بلاغةُ التَّعريض:

توبيخُ الغافلين لعدم اهتدائِهم مع أنَّ ظهورَ دلائلِ التَّوحيد أمامَ الأعينِ

على القول بأنَّ المرادَ من قوله ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الاهتداءُ في السّبل وإلى البلاد والمصالح كان في التَّعبير بلفظ الاهتداء دون غيرِه تعريضٌ بالكافرين الذين لم يهتدوا إلى الإيمانِ وتوبيخُهم، مع أنَّ دلائلَ التّوحيد قائمةٌ ظاهرةٌ أمامَ أعينهم.

فائدةُ مجيءِ المسنَد جملةً فعليّةً في قولِه (لَعَلَّهُم يَهْتَدونَ):

في قولِه ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ جاء المسنَدُ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ جملةً فعليّةً ليفيدَ تقوّيَ الحُكم وتحقيقَه، بمعنى أنَّ من ينظرُ في هذه الدّلائل ويسترشدُ بها لا يكونُ منه إلّا الاهتداء إلى المصالح الدّنيويّةِ والأخرويّةِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الميل والميد:

الميلُ يكونُ في جانبٍ واحدٍ، والميدُ هو الاضطراب بحركات متواليةٍ في جهتين مختلفتَين

الفرقُ بينهما هو أنَّ الميلَ يكونُ في جانب واحد، والميدُ هو الاضطراب بحركات متواليةٍ في جهتين مختلفتَين، أي: منَ الجانبين، أي: بالميل مرّةً، يمنةً، ومرّةً يسرة[2]، فيحصُل لمنْ تميد به الأرض دورانٌ، وفُقدانُ توازُنٍ، وعدمُ استقرارٍ، كما أنَّ الميدَ فيه خطورةٌ، وهو مكروه، ويتحذَّر منه، وأمّا الميلُ فلا يشترط فيه عدمُ الاستقرار، ولا الخطورةُ، وقد يكون مرغوبًا، فكان لفظُ الرّواسي هو الأنسبَ بالميد، فلكلِّ كلمةٍ مع صاحبتِها مقامٌ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 139، والبقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 414، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 57.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 215.

السّبل والطّرق:

السَّبيلُ هو الطّريقُ المعتادُ الذي فيه سهولةٌ وامتدادٌ، وأمّا الطّريقُ فهو أعمُّ

من حيث المأخذُ اللّغويُّ فإنَّ الطَّريق هوَ كلُّ ما يطرقه طارقٌ بالأرجلِ، مُعْتادا كانَ أو غير مُعْتاد، وأمّا السّبيل من الطّرق فهو ما كانَ مُعْتادَ السّلوك، وكان فيه سهولة وامتدادٌ، وسمّي الطّريق سبيلًا لامتدادِه، والطّريقُ لا يقتضي السّهولة، كما أنَّ السّبيل اسمٌ يقعُ على ما يقعُ عليه الطّريق وعلى ما لا يقع عليه الطّريقُ، فتقولُ سبيلُ اللّه وطريقُ اللّه، وتقول سبيلُك أن تفعل كذا ولا تقول طريقُك أن تفعل به، فيضاف إلَى القاصد ويُراد بِه القَصْد، كما أنّ السّبيل أغلبُ وقوعًا واستعمالًا في الخير وفيما يكون فيه منفعةٌ، ولا يكاد اسمُ الطّريق يراد به الخيرُ إلّا مقترنا بوصف، أو إضافة تخلّصه لذلك، كقوله تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾ [الأحقاف: 30][1]، فكان ذكرُ السّبل مع الفجاج في معرضِ المنّة وتسهيلِ العيش في الأرض أنسبَ من ذكر الطّريق.

(1) العسكري، ص: 298، والكفوي، الكليات، ص: 513.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»